Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

Journal of University Studies for Inclusive Research
Vol.11, Issue 23 (2023), 11847- 11872
USRIJ Pvt. Ltd

تمثُّلات المدينة في الخطاب السردي القصصي
(مجموعة صهيل الجواد الأبيض لزكريا تامر أنموذجًا)

نسرين عبدالله قفة
مساعد تدريس ـ برنامج متطلبات الجامعة ـ كلية الدراسات العامة ـ جامعة قطر
nesreenquffa@gmail.com

ملخص

إن ما يُميز الخطاب الأدبي أنه يحمل رؤية وأيدولوجية معينة يُعبر عنها الكاتب بطريقة فنية أدبية ويكون هدفه توصيل هذه الرؤية الفكرية للمُتلقي. يعمل الكاتب على التعبير عن هذه الرؤية وذلك بمنحها السطوة والحضور المُهيمن على نصوصه. وهذا ما تم ملاحظته في النصوص السردية القصصية للكاتب زكريا تامر حيث عمل على طرح رؤيته وأيديولوجيته في الخطاب القصصي – مستعينًا بسلطة الخطاب وفق مفهوم ميشيل فوكو – ضمن تكوين استراتيجية تعتمد على اجتماع موضوعات خطابية معينة وظهور تنظيمات مفاهيمية وإبراز أنواع وصيغ تعبيرية تتمحور في "المدينة".

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي التأويلي في تتبع تمظهرات وتمثلات المدينة لدى الكاتب زكريا تامر وذلك عن طريق الرصد والقراءة والتأويل لبيان دلالة هذه التمثلات والرؤية التي تحملها.

البحث سيثير عدة تساؤلات منها، كيف تمثلت المدينة؟ ما تأثيرها على البطل؟ وما موقفه منها؟ هل قدم لنا الكاتب فضاءً مكانيًا بديلًا للمدينة؟ هل تحقّق التقاطب المكاني في نصوصه؟ وكيف استخدم الكاتب سلطة

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

الخطاب السردي لتقديم رؤيته الأيدولوجية للمتلقي؟

الكلمات الدالة: تحليل الخطاب، المدينة، القصة القصيرة، زكريا تامر، سلطة الخطاب.

City Representations in Narrative Discourse
(Zakaria Tamer's "Neighing of the White Steed" as a Case Study)

Nesreen Abdalla Koffa
Teaching Assistant – Core Curriculum Program – General Studies College – Qatar University
nesreenquffa@gmail.com
Orcid No: 0000-0001-8486-6108

ABSTRACT

The essence of literary discourse lies in its capacity to convey a distinct vision and ideology through the author's artistic and literary expression, with the objective of imparting this intellectual perspective to the reader. This phenomenon is evident in the narrative texts of Zakaria Tamer, where he strategically employs the power of discourse, as per Michel Foucault's concept, to expound his vision and ideology. This involves the convergence of specific discursive themes, the emergence of conceptual structures, and the emphasis on various forms of expression all centered around "the city".

The researcher adopted a descriptive, analytical, and interpretive method to examine how the city is represented in Tamer's works, unraveling its significance. This analysis raises questions such as how the city is depicted, its impact on the protagonist, and their response to it. Additionally, it investigates whether the author introduces an alternative spatial dimension to the city and if he successfully achieves spatial interplay in his narratives. Moreover, it explores how the author harnesses the narrative discourse's authority to convey his ideological vision to the reader.

Keywords: the city، short story، Zakariya Tamer، narrative authority، discourse analysis.

المقدمة

تسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة الخطاب السردي القصصي بالتركيز على ظاهرة بعينها برزت في الخطاب وذلك بغرض اكتناه تمظهراتها فيه ودلالاتها والانتقال من بنية الخطاب السطحية إلى بنيته العميقة.

استندت في هذه الورقة البحثية إلى القراءة المنهجية بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي التأويلي لبيان أهمية ودور عنصر "المكان" في التشكل الدلالي للخطاب السردي واشتباكه مع عناصره الأخرى، ويُمثل هذا المبحث الجزء النظري من الدراسة.

والتزامًا بنطاق البحث، كان لزاماً اختيار نوعًا من أنواع الخطابات السردية ليكون محور الدراسة، وقد وقع اختياري على "القصة القصيرة" كونها من الخطابات الأكثر قرباً في توجيه الرسائل ضمن السياق الخطابي. وانطلاقًا من ذات المسوغ المُتعلق بنطاق البحث، اخترت كاتباً واحداً، ووقع اختياري على كاتب يعتبر من أعلام القصة القصيرة في الوطن العربي في الستينيات، تميزت قصصه بعمق الرؤية في خطابه القصصي وهو الكاتب زكريا تامر.

وبما أن هدف الدراسة التركيز على ظاهرة معينة ومُحددة في الخطاب، لذا، قمت باختيار "تمثّلات المدينة" في مجموعة (صهيل الجواد الأبيض) وذلك انطلاقاً من ملاحظة هيمنة "المدينة" على خطابه القصصي.

إن هذا الورقة البحثية تعتمد، بشكل أساسي، على الدراسة التطبيقية التي تمثلت بدراسة تمظهرات وتمثلات المدينة في المجموعة التي تحتوي على أحد عشرة قصة قصيرة وذلك عن طريق التتبع والرصد

والقراءة والتأويل لبيان دلالة هذه التمثلات والرؤية التي تحملها. وقد تم استخدام آليات المنهج التأويلي فيما يتعلق بالجزء التطبيقي من الدراسة. يسبق هذا المبحث التطبيقي مبحث نظري جاء كمدخل وتوطئة للدراسة. وبنهاية البحث، تأتي "الخلاصة" لتبين رأينا الشخصي وما توصلنا إليه من البحث والدراسة.

أولاً – تحليل الخطاب

يعتبر مصطلح "الخطاب Discourse" من المصطلحات الواردة والوافدة من الثقافة الغربية، وقد لقى هذا المصطلح قبولاً وانتشاراً في الساحة العربية. ونحن هنا في هذا المبحث، لن نتطرق إلى البحث النظري لظهور المصطلح بالغرب وتعدد مفهومه وكيفية انتقاله إلى الساحة العربية، بالرغم من اختلاف سياقاته الثقافية والاجتماعية والأيدولوجية، ولكن ما يعنينا هو مفهوم "تحليل الخطاب Discourse Analysis" وعلاقته في دراسة ظاهرة معينة برزت فيه وهيمنت عليه.

إن تحليل الخطاب أخذ أبعادًا أبعد وأعمق من التي قال بها اللسانيون أمثال فريدريك دو سوسير Ferdinand de Saussure والمُتعلقة باللغة، وذلك بعد التعريف الذي جاء به جورج مونان Georges Mounin "كلّ تقنية تسعى إلى التّأسيس العام والشكلي للرّوابط الموجودة بين الوحدات اللّغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب، في مستوى أعلى من مستوى الجملة"[١]. ومن هذا المنطلق، نجد المُسوغ لموضوع ورقتنا البحثية.

ثانياً – "المكان" في القصة القصيرة

تُعد القصة القصيرة جنس أدبي، فكما تقول يمنى العيد: "الشعر نوع من أنواع القول الأدبي الخاص. والقصة نوع آخر من أنواع القول الأدبي، يستعين بتقنيات مُعينة ليبني باللغة عالمه. إن القصة

[١] فراسواز, أرمينكو. (١٩٨٦). المقاربة التداولية. (سعيد علوش، المترجمون) الرباط: مركز الإنماء القومي.

قول لغوي يبني عالمه بتقنيات خاصة يبدعها"[١]. إن القصة القصيرة هي جنس وقول أدبي تعتمد على عدة عناصر لا تستقيم بدونها وهي (الأحداث، الشخصيات، الزمان، المكان، فكرة محورية، حبكة فنية). وقد لخصها الدكتور علي عبدالخالق في قوله "لا تستقيم القصة في قيمتها حتى تكتمل لها عدة عناصر، ذلك أن الحكاية تتضمن سرداً لحوادث تقع من أشخاص أو تحدث لهم في بيئة معينة وتسرد بأسلوب فني لإبراز فكرة خاصة في حبكة فنية"[٢].

ويُعد "**المكان**" عنصراً هاماً في الخطاب السردي من حيث كونه الأرضية والفضاء الذي تظهر فيها الشخصيات، وتدور فيه الأحداث، وتتحرك فيه الرؤى، وتظهر فيه الصراعات. فهو الوعاء الفضائي والجغرافي الذي يدور فيه الخطاب السردي بمجمله. فالمكان هو "تشكيل لفظي ينبني انطلاقاً من اللغة الوصفية والإيحائية، وهو بالتالي، تشييد تأويلي يقوم، بالأساس، على تحقق فعل التلقي الذي يُشكل قنطرة ذات أهمية قصوى في ميلاد النص وانتمائه إلى عالم الكينونة"[٣].

والمكان يُؤثر في الخطاب السردي، أي أنه يؤثر على الشخصيات ومواقفها، وعلى الأحداث من صراعات وتعقيدات، وعلى الرؤية الكلية لها. وفي ذات الوقت، يمكننا القول إن المكان يتأثر بالشخصيات والأحداث، فنحن نرى المكان بعيون الشخصيات والأيدولوجية التي ينطلقون منها، ونراه من ضمن سياق الأحداث والصراعات. فسمة التداخل بين عنصر "المكان" في الخطاب القصصي وبين عناصره الأخرى هي علائقية مُتشابكة ومُتداخلة، يُؤثر كل منهم بالآخر سلباً أو إيجاباً.

---

[١] العيد, يمنى. (١٩٨٦). القصة القصيرة والأسئلة الأولى (اللغة/الأدب/الأيديولوجيا). من كتاب دراسات في القصة العربية: وقائع ندوة مكناس. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية. ص٢٣.

[٢] عبدالخالق, علي. (١٩٨٧). الفن القصصي – طبيعته – عناصره – مصادره الأولى. الدوحة: دار قطري بن الفجاءة. ص٤٣.

[٣] الحجري, إبراهيم. (٢٠١٣). القصة العربية الجديدة – رهانات التحول بين الشكل والموضوع – مقاربة تحليلية (المجلد الطبعة الأولى). دمشق: مُحاكاة للدراسات والنشر والتوزيع. ص١٦٥.

إن عنصر "المكان" هو عنصر مُفعم بالدلالات والإشارات يُساعد على إتمام عملية بناء معنى الخطاب السردي، وهو – في أحيان كثيرة – يُثير في القارئ دلالات تحملها مرجعيات المُتلقي (الحديقة، المقهى، القرية، الريف، الشاطئ، المدينة، ...)، وهنا تتقابل الشحنات الشعورية والشحنات الرؤيوية لمبدع الخطاب السردي مع أفق توقع وانتظار المُتلقي (القارئ) Expectation Horizon الذي يتلقى الخطاب السردي وفق توقعات معينة تمت صياغتها في ذهن المُتلقي بناء على مرجعياته وخبراته المُسبقة، وذلك وفق مفهوم هانز روبرت ياوس Hans Robert Jauiss الذي يقول: "إن تحليل التجربة الأدبية للقارئ تفلت من النزعة النفسانية التي هي عرضة لها لوصف تلقي العمل والأثر الناتج عنه، إذ كانت تشكل أفق انتظار جمهورها الأول، بمعنى الأنظمة المرجعية القابلة للتشكل بصورة موضوعية"[1]. وعند هذه المواجهة –القراءة والتلقي– يتحقق أحد أمرين، "اندماج الأفقExpectation Horizon Harmony " بمعنى التوافق بين صورة المكان في الخطاب القصصي مع أفق توقع المُتلقي فينتج عنه تراكم التأويلات فيما يتعلق بهذا المكان ودلالته، أو يتم "تغيير الأفق Change of Horizon" بمعنى خيبة التوقع لدى المتلقي مما ينتج عنه تأسيس دلالي جديد لهذا المكان في تراكمية تلقيه وفي ذات الوقت يتم تغيير أفق توقع القارئ والتأسيس لأفق توقع جديد.

فعنصر "المكان" يمكن دراسته ضمن مفهوم "تاريخ التلقي" لمتابعة تطوره وتغيره عبر التاريخ وملاحظة المنعطفات التاريخية لدلالاته. وأن مثل هذه الدراسة تُساعد، بشكل جدي وإلى حد كبير، على تلقي مفهوم المكان ودلالاته في الخطابات السردية والخطابات الأدبية بشكل عام، هذه الدلالات التي قد

[1] بوحسن، أحمد. (ب.ت). نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث: نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات – سلسلة ندوات مناظرات رقم ٢٤. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

تتعدد وتتباين.

بعد بيان أهمية "المكان" في تشكل الخطاب السردي وإمكانات تلقيه، يمكننا الانتقال إلى الجزء التطبيقي في البحث، لدراسة "المدينة المُهيمنة" في مجموعة (صهيل الجواد الأبيض) لزكريا تامر.

ثالثًا – التطبيق

سيتم التطبيق على مرحلتين، المرحلة الأولى هي مرحلة تتبع تمثلات المدينة ورصدها وبيان دلالاتها (البنية السطحية Surface Structure). يلي ذلك المرحلة الثانية وهي مرحلة مُقاربة تأويلية لهذه الدلالات وما تحمله من منطلق فكري أيديولوجي في الخطاب القصصي موضع البحث والولوج بذلك إلى بنية النص العميقة Deep Structure.

المرحلة الأولى – تمثلات المدينة

قمنا بتتبع "المدينة" ورصدها في مجموعة (صهيل الجواد الأبيض)، وملاحظة تمظهرها في النصوص جميعها وتعالقها معها، فلا يمكن رصد "المدينة" فقط، بل التعالقات الخاصة بها أيضاً، وبذلك تمكنا من أن نُقسم ملاحظاتنا على النحو التالي:

- أماكن المدينة وتمثلاتها
- أفعال المدينة
- تأثير المدينة على البطل
- موقف البطل من تمثلات المدينة
- الفضاء التخيلي البديل للمدينة (التقاطبات المكانية)

أماكن "المدينة" وتمثلاتها

تعتبر "المدينة" في مجموعة (صهيل الجواد الأبيض) كياناً شاملاً وفضاءً تقع الأحداث فيه وتتعالق مع جميع عناصر القصة. والمدينة كمكان شامل، يحتوي أمكنة أخرى تعكس كنه المدينة وتعتبر ممثلة لها وتكون مُعادلاً موضوعياً لها، ونلاحظ أن المجموعة القصصية موضع البحث تعتمد مُعجماً لغوياً واحداً للدلالة على المدينة، ونكاد نقول إن هذه المفردات الدالة على أمكنة "المدينة" وردت في جميع القصص وبشكل مُلح، ونتيجة التقصي كانت كالتالي بترتيب ورودها في النصوص:

(المباني، الأزقة، مقهى، معمل، مصانع، الأسفلت، الغرف)، (الأبنية، غرفتي، الشوارع، المعمل، مقبرة، الأسفلت، الرصيف)، (مقهى، شارع، قبو، صالة السينما، المرحاض، البناية، الأرصفة، سوق)، (غرفة، شوارع، الأرصفة، بناية، طرقات، خمارة، صحراء، المعمل، الرصيف، القبور، الأزقة، حانة)، (القبر، الشوارع، الزقاق، عالم الموتى، المطاعم، خمارة، الغرفة)، (المقهى، الشوارع، محلات، الغرفة، أرصفة، المباني، البنايات، الزقاق، بيت المومس، الرصيف، سوق العرق، الماخور، دور السينما)، (الغرفة، البيت، الغابات، السقيفة)، (غرفة، الشارع، المباني، دكان البقال، أسفلت)، (منزل، غرفة، حديقة، أزقة العالم، خمارة، رصيف، بحر كبير "تخيلي"، محل، أزقة المدينة)، (مقبرة، غرفة، نهر – تخيلي، شارع)، (غرفة، طريق، اسفلت، مقبرة، الشارع، زقاق، مقهى).

من المُلفت للانتباه أن هذه الأماكن، كالشارع والأرصفة والأسفلت والمباني والأزقة والحانة والخمارة، تكاد تتكرر في جميع النصوص، وهي الفضاء الموحد لجميع نصوصه.

ومن الملاحظ أيضاً أن هذه الأماكن، في مرجعياتها لدى المُتلقي، ترتبط بشكل أساسي بالمدينة والغربة والعزلة والضياع والمشاعر السلبية بشكل عام. ولكن، هناك بعض الأماكن التي وردت في

النصوص، والمُرصدة أعلاه، مثل (النهر، الغابات، البحر، البراري) تحمل مرجعيات إيجابية، ولنقل عند الأغلبية من المُتلقين، **فكيف وردت هذه الأماكن وبأي سياق؟**

إن التفسير لحضور هذه الأماكن – الإيجابية المرجعية – والمُقابلة لأماكن المدينة – السلبية المرجعية –، يكمن في أن هذه الأماكن لم تكن في المدينة– الواقع، بل كانت في العالم التخيلي الذي أوجده البطل في أحلامه وأوهامه وتخيلاته، وهذا ما يُبرر شذوذها عن قاعدة أماكن المدينة ذات المرجعية السلبية.

ولكن، أماكن المدينة هذه ذات المرجعية السلبية لدى المُتلقي، كيف وصفها الكاتب؟ وكيف عبرت عنها الشخصية في القصة؟ هل أتفق أفق توقع القارئ مع الخطاب السردي فيما يتعلق بدلالة المكان؟

جميع هذه الأماكن تم وصفها في النصوص، ونورد هنا رصداً للوصف الذي جاءت فيه: (المباني الحجرية، الأزقة الضيقة، قاع المدينة، قعر المدينة، الغرف المُقفلة، خواء الشارع، مصابيح شاحبة، أعمدة سود، حارس ليلي بدين، ضجيج سوق متخمة بالناس، قبضة القبو الحجرية، أرض بلا مطر، غرفة بلا ضوء صامتة سوداء علبة صغيرة من الحجر الرطب، مدينة كبيرة قديمة، بناية شامخة، طرقات لولبية، صحراء جائعة، شارع مقفر، القبور المهجورة، الأزقة الضيقة المتعرجة، مدن مهجورة، حانة شاحبة الضوء، صخب مدينة كبيرة، شارع متخم بالضوضاء، المدينة مومس عجوز ذات وجه شاحب متعب لا يعرف الابتسام، مقهى منزو ذو مشروب رخيص، الأبنية الأنيقة الجميلة، مدينة سخيفة قاسية، الرصيف المكتظ بالناس، الغابات البعيدة، غرفة موصدة الباب، شارع مكتظ بالناس، الشارع مقفر، غرفته الرطبة، الشارع مأواه الكبير، الأسفلت بوجهه الأسمر المتعب يلهث تحت ضياء شمس حارة، ضجيج المدينة، زقاق ضيق مدن وديعة – "تخيلي").

هذا الرصد للوصف المُطلق على أماكن المدينة يبين أن الوصف سلبي بدرجة واضحة، أما فيما يتعلق ببعض الوصف الإيجابي مثل (الأبنية الأنيقة الجميلة – مدن وديعة)، فكلها مُطلقة على الأماكن المُتخيلة في النص وهي خارج نطاق أماكن المدينة الواقعية.

هناك أماكن وردت بالنصوص بصيغة الملكية للشخصية الرئيسية في النصوص، والتي تكاد تكون واحدة في تجلياتها، وهي (غرفتي، قبوي، قبري). وهنا دلالة أن البطل لا يملك في عالمه سوى هذه الأماكن في المدينة، ففوق سطح الأرض ليس له سوى (غرفة)، و(القبو) بين سطح الأرض وباطنها، و (القبر) في باطن الأرض، وجميعها تُشير إلى الكآبة والعزلة والموت.

بعد بيان المعجم اللغوي المُستخدم في توظيف الأماكن، ننتقل لتوضيح أفعال هذه المدينة والتي سببت المُعاناة للبطل.

أفعال المدينة

يمكننا القول هنا، وبنوع من الثقة، أن المدينة في نصوص هذه المجموعة يمكن النظر إليها بمنظور أشمل وأعمق من كونها عنصراً مكانياً أو فضاءً تدور فيه أحداث القصص، فالمدينة في النصوص شخصية محورية فاعلة تُقابل شخصية البطل، فللمدينة أفعال وتصرفات أثرت على الشخصيات وكانت نداً مقابلاً للبطل في هذه النصوص، وكانت طرفاً أساسياً في الصراع المُتشكل في هذه الخطابات السردية. حيث أن البطل يُحيل ويُرجع كل المُعاناة المُتشكلة والصراعات في بنية القصص إلى "المدينة."

- المدينة قدمت لأولادها الجوع والفقر "مدينة لا تعطي أولادها سوى الجوع والتشرد والكآبة"، "أميمة أغمى عليها بينما كانت تمشي في الطريق بسبب جوعها الشديد"[١].

[١] تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

- المدينة صنعت المومسات: "في الليل هربت أميمة من حارتنا. وزعم البعض أنها قد أمست رديئة السلوك"[١].
- المدينة تسبب الكآبة والضياع والعزلة والاغتراب "شارع تتناثر على جانبيه أبنية مُستسلمة لسكينة باردة، ويمتد أسفلته الباهت طويلاً لامعاً تحت صف من المصابيح الصفر"[٢].
- خلقت النظرة النفعية لدى الناس والنفاق: "كل ما في مدينتي له ثمن معين، لا أحد يعطي شيئا دون مقابل .. كلهم تجار من نوع جديد راق. إنهم منتشرون في كل مكان وراء أقنعة مختلفة. كم أبغض هذا النوع من البشر، أبغضه بغضاً جنونياً"[٣]. كما تظهر النفعية أيضاً في طرده من المعمل لأنه أتلف آلة من آلاته "المعمل الذي طردت منه قبل أشهر لارتكابي خطأ أتلف آلة من آلاته"[٤].
- المدينة أوجدت الموت: "أين أنت يا موت؟ إن عثرت عليك فسوف أذبحك ألف مرة في اللحظة العابرة بسرعة"[٥].
- علاقات عائلية ومجتمعية مُفككة: "سأكون سعيدة لو كانت أمي ميتة"[٦]، "قد أكون شتمت جدي"[٧].

إن كل الانحطاط البادي في المجتمع مرده "المدينة" بتمثلاتها، فهي التي قدمت الجوع والفقر والمرض والفسوق والانحلال والرذيلة والتفكك والضياع والعزلة والاغتراب والكراهية والمنفعة والموت، لأبنائها.

ص١٣.

[١] المرجع السابق، ص١٤.

[٢] تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٣٠.

[٣] المرجع السابق، ص١٠٧.

[٤] المرجع السابق، ص١١.

[٥] المرجع السابق، ص١٣٤.

[٦] المرجع السابق، ص١٣٣.

[٧] المرجع السابق، ص١٢.

تأثير المدينة وتمثلاتها على البطل

إن المدينة أثرت على البطل في تشكيل وعيه وشخصيته وسلوكه وفكره ونظرته للحياة ككل (نظرته الأيديولوجية)، فالبطل يبدو شخصية واحدة في جميع قصص هذه المجموعة، فنورد هنا بعض النصوص التي تمثل هذه الشخصية المُتشكلة بفعل المدينة.

١. **البُعد الاجتماعي والسلوكي:** الفقر والبطالة "أنا رجل فقير بلا عمل"، العلاقات النسائية والخمر "أحب الخمر والغناء والأزقة الضيقة، وأحب الشعر والخبز الأبيض والنهود الفتية والمطر"[١].

٢. **البُعد النفسي والشعوري:** الضياع "أنا لست سوى مخلوق ما ضائع في زحام مدينة كبيرة قديمة"[٢]، **الوحدة** "وحيد ككلب الأسواق الأجرب"[٣]، **الاغتراب** "يعوي في داخلي الإحساس بالغربة البلهاء"[٤]، **العزلة وانشطار الذات** "لكم يرعبني ضجيج المخلوقات الزاحفة حولي على الأرصفة. إنه يبعدني عن نفسي، عن نقطة سوداء قابعة في داخلي، باردة حزينة كنجم ميت"[٥]، **السخط** "ذئاب صغيرة رمادية سجينة في قفص قضبانه فولاذية غليظة، سمعتها تعوي بغضب في أعماقي لحظة التقت عيناي ببناء المعمل الذي طرت منه"[٦]، **الانكسار** "كنت وطواطاً هرماً أعمى، جناحاه محطمان"[٧]، **التبلد** "لا أضحك. لا أبكي"[٨]، "وجهي خشب مهترئ بلا سماء. هل يضحك الميت؟"[٩]، "أنا عامل مسكين لا أبتسم"[١٠]، **العدم واللاجدوى** "أنا رماد .. سندباد جثة مشنوقة في فراغ المدن"[١١]، السادية "عيناي

---

[١] تامر, زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص١٤.
[٢] المرجع السابق، ص١٤.
[٣] المرجع السابق، ص٤٨.
[٤] المرجع السابق، ص٩٠.
[٥] المرجع السابق، ص١٤.
[٦] المرجع السابق، ص١٧.
[٧] المرجع السابق، ص١٤.
[٨] المرجع السابق، ص١٤.
[٩] المرجع السابق، ص١٣٨.
[١٠] المرجع السابق، ص٤٦.
[١١] المرجع السابق، ص١٢٣.

نعشان .. ذئبان مريضان"، "إني أذرع طرقاتها كضبع جائع"[١].

٣. **البُعد العقائدي:** "لماذا نُصلي؟ قد يكون الله نفسه يكرهنا"[٢]، "جبهتي لم تلمس مرة سجادة صلاة ... أشتم الله"[٣].

نُلاحظ أثر "المدينة" في تشكيل البطل من الناحية الشعورية والسلوكية. إن الشعور بالضياع والعزلة والاغتراب والنقمة والسخط والفقر والجوع والسادية وفقدان البعد العقائدي سمة من سمات شخصية البطل نتيجة لأجواء المدينة، فالمدينة شكلت هذه الشخصية "في المدينة الفاسدة يكمن ضياع الإنسان، وقلة حيلته، فنراه وحيدًا مشتتًا أو منحلًا شاذًا"[٤]، علماً بأن الأبطال في جميع قصص هذه المجموعة يكادوا يكونوا شخصية واحدة.

وبالرغم من هذه التعقيدات الشعورية والسلوكية ومن مُعاناته، نجده مُحباً لملذات الحياة (الطعام، الخمر، الجنس، الموسيقى)، ومُحباً للحياة ذاتها كفكرة ذهنية مُجردة، فنراه يقول: "آه .. ما أجمل أن أكون حياً"[٥].

وقد يكون النص التالي في قصة "صهيل الجواد الأبيض"، أبلغ دلالة على أثر المدينة على البطل:

"كنت وطواطاً هرماً أعمى، جناحاه محطمان. لا أجد خبزي وفرحي. لكم يرعبني ضجيج المخلوقات الزاحفة حولي على الأرصفة. إنه يبعدني عن نفسي، عن نقطة سوداء قابعة في داخلي، باردة حزينة كنجم

---

[١] المرجع السابق، ص١٤.
[٢] المرجع السابق، ص١٣٥.
[٣] تامر, زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٤٦.
[٤] القريناوي, فريدة. (٢٠٢٣). تجلّيات الديستوبيا في الرّواية الجزائريّة، رواية " وطن من زجاج" لياسمينة صالح أنموذجًا. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها, ٢(١), ١–١٨ مسترجع من https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl/article/view/6308 :
[٥] تامر, زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٢١.

ميت. أنا لست سوى مخلوق ما ضائع في زحام مدينة كبيرة قديمة .. لا أملك سيارة ولا بناية شامخة .. جبهتي لم تلمس مرة سجادة مسجد .. أقامر .. أضحكك ببلاهة. أغازل فتيات. أشتم الله. أصادق مومسات. أروي بحزن حكاية حبي ذات الختام الحزين. أسمع سيمفونيات سيبيلوس. أقرأ كتاباً. أتسكع في طرقات لولبية. اتجرع بنهم خموراً رديئة"[١].

بعد استعراض أفعال المدينة وأثرها على بطل المجموعة القصصية، نتساءل، ما موقف البطل من المدينة، وكيف تجلى هذا الموقف في نصوص المجموعة المختلفة؟

موقف البطل من تمثلات المدينة

يتصف موقف البطل من معاناته الناتجة عن المدينة بأنه موقف سلبي، وإن تعددت أشكاله، فيمكن إجمال موقف البطل في "فكرة اللاجدوى"، "التمني"، "الاحتقار."

أ) فكرة اللاجدوى

تظهر لدى البطل، نتيجة معاناته من المدينة، فكرة "اللاجدوى" وتتمظهر هذه الفكرة في عدة أفكار منها فكرة "الانتحار" للتخلص من هذه المُعاناة "لماذا أعيش ما دام ليس هناك ما أعيش من أجله ولا فائدة مطلقاً في وجودي .. لماذا لا أنتحر؟"[٢]. وفي نص آخر نرى البطل يُقرر الانتحار تخلصاً من تعاسته وانتقاماً من المدينة "سأموت. وابتدأت أبتلع الحبوب الملساء الصغيرة وانا أبتسم ابتسامة متشفية. هي وحدها باستطاعتها أن تنقذني من تعاستي .. ستميتني"[٣].

وتتجلى أيضاً فكرة "اللاجدوى" في "الهروب"، فهو سلبي لا يجد حلاً أو مخرجاً ولا يبحث عنه في

---

[١] تامر, زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر .ص٤٦.
[٢] المرجع السابق، ص٦٨.
[٣] المرجع السابق، ص٤٩.

الأصل، فنراه يقول: "ما أمنيتك أيها الرجل الكئيب الأكثر حياة من ارض بكر؟ أن أنام مئة سنة"[١]. كما تجلت أيضاً فكرة اللاجدوى في فكرة "الاستسلام وفقدان الأمل" فنراه يُظهر يقينه ببقائه في قعر المدينة "إني أعيش في هذا القبو، العالم يجثم فوقي، إني سأظل حتى النهاية في قعر المدينة"[٢]، كما تبرز فكرة "اللاجدوى" في "العدمية" في نص يقول فيه: "اعترض طريقي ... مُتسائلاً .. كم الساعة؟. فلم أتفوه بكلمة إنما ابتسمت بمرح وقلت لنفسي: لماذا يسأل ما دام سيموت في يوم من الأيام؟"[٣]، فلا جدوى من أي فعل طالما النهاية محتومة وهي الموت. كذلك في فكرة "العبث" فهو مُستغرق في الملذات غير مبال بأية قيم.

ب) التّمني

من تجليات موقف البطل من المدينة وانحلالاتها لجوؤه للتمني (تمنيات تتعلق بالمدينة وبالتالي أخرى تتعلق بحياته الشخصية)، فهو يتمنى القضاء على المدينة التي لا توفر لأولادها سوى الجوع والتشرد والكآبة "ليتني قطيع من المدى المتوحشة المنغرسة في قلب مدينة لا تعطي أولادها سوى الجوع والتشرد والكآبة، أنا عدو المدينة المجهول، إني أذرع طرقاتها كضبع جائع بينما ترقد في جيبي سكنن عتيقة نصلها منطفئ التألق"[٤]. كما أنه يتمنى هدم المعامل بآلاتها التي جلبت الشقاء للإنسان، والتي هي بدورها رمز من رموز المدينة "سأهدم المعامل"[٥]. وفي ذات الوقت يتمنى مدينة مُختلفة "سأحول المدينة إلى قرية كبيرة مُحاطة بحقول خضراء ممتدة إلى لا نهاية، وسيكون لهذه القرية ساحة فسيحة جدً ن سيجتمع فيها

---

[١] المرجع السابق، ص١٣٨.
[٢] تامر, زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٣٨.
[٣] المرجع السابق، ص٣٧.
[٤] المرجع السابق، ص١٤.
[٥] المرجع السابق، ص١٥.

كل مساء جميع السكان"[١].

أما على صعيد الأمنيات الشخصية والتي يمكن تحققها بعد الحصول على "المدينة المُختلفة"، فنراه يتمنى الزوجة المنزل والاطفال والاكتفاء المادي "ما أريده في الحياة لا يتعدى بيتاً صغيراً بسيطاً أعيش فيه مع فتاة لم أقابلها بعد .. وسأحبها بإخلاص، وأريد ألا يمر يوم أجوع فيه، وأريد كذلك إذا مرضت أن يكون معي نقود تكفي لأجرة الطبيب ولثمن الدواء"[٢]، ويقول أيضاً "أحياناً أحلم بزوجة وأطفال ومنزل، وأتمنى لو يتحقق هذا الحلم"[٣]، وأيضاً "هل هذا حلم؟ هل سأصبح غنياً؟ ألن أجوع؟"[٤].

ت) الاحتقار

لجأ البطل إلى "الاحتقار" للتعبير عن موقفه من المدينة، فهو حانق عليها بكل ما فيها، وقد لجأ في بعض النصوص إلى إظهار هذا الحنق بأفعال تُظهر الاحتقار، وإن كانت أفعالاً لا تُؤثر على المدينة بقدر ما تعمل على تفريغ الشحنات السلبية لدى البطل، فنراه يشتم المدينة "شتمت بضراوة عالماً لا أملك فيه شيئاً"[٥]. وفي نص آخر يقول: "توقفت بعد مسير قليل عند قطعة أرض ملأى بأكوام التراب والحجارة ونفايات المنازل المجاورة، واخترت باهتمام كومة من ورق الصحف الممزقة ثم بدأت أبول فوقها"[٦].

بعد هذا العرض والرصد لتمثلات المدينة وأفعالها وتأثيراتها –السلبية– على البطل وبعد بيان موقف البطل السلبي تجاه هذه الأفعال والتأثيرات التي مارستها المدينة عليه – كنموذج للإنسان بشكل عام – نطرح تساؤلنا والذي يعتبر نقطة مفصلية في البحث وهو: ما هو الفضاء المكاني البديل الذي

---

[١] المرجع السابق، ص١٦.
[٢] تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٧٦.
[٣] المرجع السابق، ص٤٧.
[٤] المرجع السابق، ص١١٢.
[٥] المرجع السابق، ص١٢.
[٦] المرجع السابق، ص٣٦.

طرحه الكاتب/البطل للمدينة – الواقع؟ هل اتبع الكاتب تقنية فنية يقنع بها المتلقي بفضاء مكاني بديل؟ فالمتلقي قد "ربما يكون عنده عالمًا مثاليًا أكثر التئامًا وانتظامًا"[١].

الفضاء التخيلي البديل للمدينة الواقعية

في بداية البحث، كان الانطباع المبدئي أن الفضاء التخيلي – البديل للمدينة – الذي يقدمه الكاتب/البطل هو "القرية" وبذلك تتكون "ثنائية المدينة والقرية" وذلك وفقاً للنص "سأحول المدينة إلى قرية كبيرة مُحاطة بحقول خضراء ممتدة إلى لا نهاية، وسيكون لهذه القرية ساحة فسيحة جداً سيجتمع فيها كل مساء جميع السكان"[٢]. ولكن باستكمال عملية الرصد للنصوص لم نجد "القرية" كعنصر تخيلي مهيمن مقابل للمدينة. وبالتالي تم تتبع الفضاءات التخيلية الأخرى في النصوص، وتمكنا من رصد "الغابات" فنراه يقول "الغابات جميلة جداً. إنها كبيرة جداً. هناك لا صقيع ولا حرارة شديدة. الأشجار هناك طويلة جداً حتى أن رؤوسها تتحدث ليلاً مع النجوم .. النجوم هناك ليست متعجرفة خرساء. نجوم الغابات لطيفة تحب التحدث مع الأطفال. وأحيانا عندما تتعب النجوم، تنزل من عليائها لتنام على فراش من ورق الشجر"[٣]. كذلك تم رصد "البراري الخضراء" كفضاء تخيلي أيضاً "البراري الخضراء التي لا أفق لها كانت تناديني بشوق، تنادي الرجل المتعب وجواده"[٤]. وظهر أيضاً "النهر" كفضاء مكاني تخيلي امتزج فيه البطل "ليتني نهر .. ليتني بلا أب .. بلا مدينة .. بلا اسم"[٥]، "النهر يغني على الرغم من كآبتي ..

---

[١] زيان، محمد. (٢٠١٤). المكان في القصة القصيرة بالمغرب: حارة مصطفي اجماهيري نموذجاً. مجلة الاستهلال، ع٤,٥ ، ٣٢ – ٧٠. ص٦٥. مسترجع من http://search.mandumah.com.qulib.idm.oclc.org/Record/767938 :

[٢] تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص١٦.

[٣] المرجع السابق، ص٩٥.

[٤] المرجع السابق، ص٥٣.

[٥] المرجع السابق، ص١٢٢.

كآبة إنسان جريح بعزلته الأبدية"[١]، "سأدفن يوماً في حفرة، ويظل النهر حياً. ليتني نهر"[٢]. وظهر "البحر" أيضاً في النصوص كفضاء مكاني تخيلي "أنا أحب البحر، إنه كبير غامض"[٣].

بعد هذا الرصد، نلاحظ عدم وجود فضاء مكاني – مُتحدد الأُطر – يُقابل المدينة ويُمثل بديلاً عنها. ولكن هذا لا يعني عدم وجود ثنائية ضدية مكانية في النصوص. وهذا ما سيتم مُناقشته في المبحث التالي والمُتعلق بمرحلة التطبيق الثانية – مرحلة المُقاربة التأويلية لهذه الدلالات وما تحمله من منطلق فكري أيديولوجي.

المرحلة الثانية –تمثلات المدينة – مُقاربة تأويلية

انطلاقًا من مفهوم تحليل الخطاب، يتوجب علينا تجاوز البنية السطحية للخطاب القصصي هنا وذلك بالتغلغل إلى بنيته العميقة وذلك عن طريق التأويل والقراءة والتلقي (لن يتم التطرق أو البحث في السياقات الخارجية)، وذلك للمُساهمة في استنطاق مفردات الخطاب والمُساهمة في عملية بناء المعنى. فالمعنى لا يطفو على البنية السطحية، بل يكمن في بنيته العميقة.

إن عنصر المكان يُعد عتبة قوية لولوج النص "يضرب موعداً قوياً ويبرم تعاقداً وثيقاً مع باقي مشكلات البنى الدلالية، إن لم نقل إنه عتبة قوية لولوج ثنايا النصوص السردية ..، ولكي تكون دراسة الفضاء وظيفية وفاعلة يجب تحليله داخل منظومة الروابط والمكونات الأخرى والأنساق الطوبولوجية المُحايثة في العمل القصصي وبينه وبين مجموع العناصر الحكائية"[٤].

---

[١] المرجع السابق، ص١٢٤.
[٢] المرجع السابق، ص١٢٦.
[٣] المرجع السابق، ص٤٦.
[٤] الحجري، إبراهيم. (٢٠١٣). القصة العربية الجديدة – رهانات التحول بين الشكل والموضوع – مقاربة تحليلية (المجلد الطبعة الأولى). دمشق: مُحاكاة للدراسات والنشر والتوزيع. ص١٦٨.

وبناء عليه، سنُحاول في هذا المبحث أن نُقارب دلالات المكان "المدينة" وتمثلاته في الخطاب القصصي في هذه المجموعة (صهيل الجواد الأبيض) والمُنظومة المُتشكلة في فضائه من موقف البطل منها والفضاء المكاني التخيلي المقابل للمدينة. وسوف نستعين، إلزامياً، بمعطيات النص والتي عرضناها في المبحث السابق في التطبيق والخاص بعملية الرصد والملاحظة، تجنباً لأي عملية قسر للنصوص من خلال عملية القراءة والتأويل.

تنتمي مجموعة قصص (صهيل الجواد الأبيض) إلى "قصة الشخصية" وليست إلى "قصة الحادثة"، فكما يرى الناقد عزالدين إسماعيل "هناك نوعا من القصة يُعرف بقصة الحادثة فإن هناك أيضاً قصة الشخصية .. في الأولى تتمثل الوقائع، وفي الأخرى المواقف. في الأولى يكون الاهتمام بالحادثة أولاً ثم نختار الشخصيات المناسبة، وفي الأخرى يكون العكس"[١]. وهنا نتساءل، هل الشخصية المحورية هي البطل؟، يمكننا القول أن جميع النصوص تمثل "المدينة" و "البطل" كشخصيات محورية مُتصارعة مُتقابلة. فأثر "المدينة" في النصوص يُعد بمثابة أثر شخصية محورية. وهذا يتساوق مع آراء العديد من النقاد والباحثين الذين ينظرون إلى المكان كأحد العناصر الفاعلة في النص "إن الفضاء الذي درسته البويطيقا يتميز بكونه ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية، ولكن أيضاً أحد العناصر الفاعلة في تلك المُغامرة نفسها"[٢].

وهنا نطرح عدة تساؤلات من خلال الطرح السابق، ونبدأ بالتساؤل الأول: ما هي هذه المدينة التي يتحدث عنها الكاتب؟

---

[١] عزالدين، إسماعيل. (١٩٧٨). الأدب وفنونه. (طبعة ١). القاهرة: دار الفكر العربي. ص١٩٢.

[٢] الحجري، إبراهيم. (٢٠١٣). القصة العربية الجديدة – رهانات التحول بين الشكل والموضوع – مقاربة تحليلية (المجلد الطبعة الأولى). دمشق: مُحاكاة للدراسات والنشر والتوزيع. ص١٦٩.

يرى بعض النقاد والدارسين في أبحاثهم، أن المدينة المعنية في نصوص زكريا تامر هي "مدينة دمشق" التي ينتمي إليها الكاتب. ولكن المتتبع لتمظهرات المدينة وتمثلاتها في هذه النصوص (وأعني هنا مجموعة صهيل الجواد الأبيض) لا يلتمس أية سمة من سمات هذه المدينة العريقة أو إشارة ولو عابرة تُشير إليها سواء في نظامها المعماري أو بنيتها الخاصة مما يجعلنا نستبعد هذا التأويل الذي لا يستند إلى أية أدلة أو مُعطيات من داخل النص.

وقد يُؤول فريق آخر "المدينة" في هذه النصوص على أنها "المدينة العصرية" بشكل عام وليست مدينة مُحددة وذلك انطلاقاً من فكرة "العالمية"، وأنها حياة المدينة العصرية أينما كانت هذه المدينة بانحلالها وتضخمها السكاني والتحلل الأخلاقي وغيرها من السلبيات. ويمكننا القول في هذا الصدد أنه يمكن تبني هذه المقولة في حال كون تمثلات المدينة في النصوص وتعالقها مع الشخصية والأحداث تُؤيد هذا التأويل، ولكن من وجهة نظري، أرى أن تمثلات الفضاء المكاني التخيلي في النصوص يفرض علينا تأويلاً مُغايراً.

١. إن "المدينة" في هذه النصوص موضع الدراسة، مدينة تحمل الجوع والفقر والمرض والضياع والاغتراب والانحطاط والرذيلة والموت، تحمل كل سلبيات الحياة والعالم والكون. إنه الوجود.
٢. هذه المدينة في تمثلاتها السلبية، لم يطرح لها الكاتب بديلاً مُحدد الأطر (ليست القرية ولا الريف)، وبذلك لم نلتمس في النصوص "التقاطبات المكانية" والتي تمثل مجموعة الثنائيات الضدية المكانية. بل يُمكن اعتبار الفضاء الروحي الذهني المُجرد غير القابل للتحقق في الوجود المادي هو المُمثل لهذه التقاطبات المكانية مع المدينة .
٣. بناء على طبيعة هذا الفضاء المُتخيل يمكننا تفسير ما اتسم البطل به من السلبية واللامبالاة

واختلال الفكر العقائدي وسيطرة اللاجدوى من الفعل، فالوجود لا يُمكن تغييره أو تبديله، فكيف يمكن إيجاد فضاء مكاني بديل لا توجد فيه سلبيات المدينة وتتساوق مع الإنسان المجبول على حب ملذات الحياة (النساء والخمر والتكاسل وعدم الرغبة في العمل)، هل يمكن إيجاد مثل هذا الفضاء؟ هل يمكن أن تتحد عناصر السماء والأرض والشمس والبشر؟

"أشرقت شمس كبيرة، وغدت السماء زرقاء رائعة، وتلاشي الثلج الأسود، واكتست الأراضي بخضرة ناعمة، وهدر غناء شجي مهيب تلاقت فيه واتحدت السماء والأرض الخضراء والشمس وملايين البشر، وتدفقت غبطتي كسيل منحدر من قمة جبل"[١].

وفي نص آخر، يتحدث عن حرية عناصر الطبيعة، وعدم الرغبة في العمل، العبث والاستمتاع بملذات الحياة:

"سأكون سعيداً لأني سأشاهد وجوهاً ومدناً جديدة. ربما عثرت في أثناء طوافي على مدينتي التي أحلم دوماً بإمكان وجودها، مدينة من نوع جديد غريب، مدينة شنقت الجوع والكآبة والضجر، لا تاريخ لها وأيامها تمر بلا أسماء، والسماء والقمر والربيع والخريف والشتاء والنهاء والصيف .. كل هذه العناصر طليقة حرة غير مرتبطة بزمان معين أو بلون واحد ثابت لا يتبدل، وناس هذه المدينة يشتغلون جميعاً في اليوم الواحد بضع ساعات فقط، ويقضون بقية أوقاتهم في الاسترخاء والتثاؤب والانتشاء بمسرات غامضة .. وهنا سيصافحونني بحرارة قائلي: ادخل مدينتنا .. فأنت مواطن مثالي. اعمل ليومك فقط، وعش كما تشتهي. استسلم لنزواتك، وافعل كل الحماقات بحماسة"[٢]. فالفضاء البديل الذي يقدمه الكاتب للمتلقي هو فضاء متخيل غير محدد الأطر ولا وجود له على أرض الواقع، استحضره ليقابل الفضاء الواقعي والذي

[١] تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٤١.
[٢] تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٨٠.

يمثله المدينة والذي هو "فضاء آهل بالحيرة والتوتر والاغتراب .. وطرح الاستفهامات المصيرية"[١].

وبناء على هذا التصور وفي ظل هذا الفضاء التخيلي البديل –غير ممكن التحقق–، فالبطل موقن أنه سيبقى في قعر المدينة إلى أن تأتي النهاية حيث لا بديل آخر ولا وجود آخر "إني أعيش في هذا القبو، العالم يجثم فوقي، إني سأظل حتى النهاية في قعر المدينة"[٢].

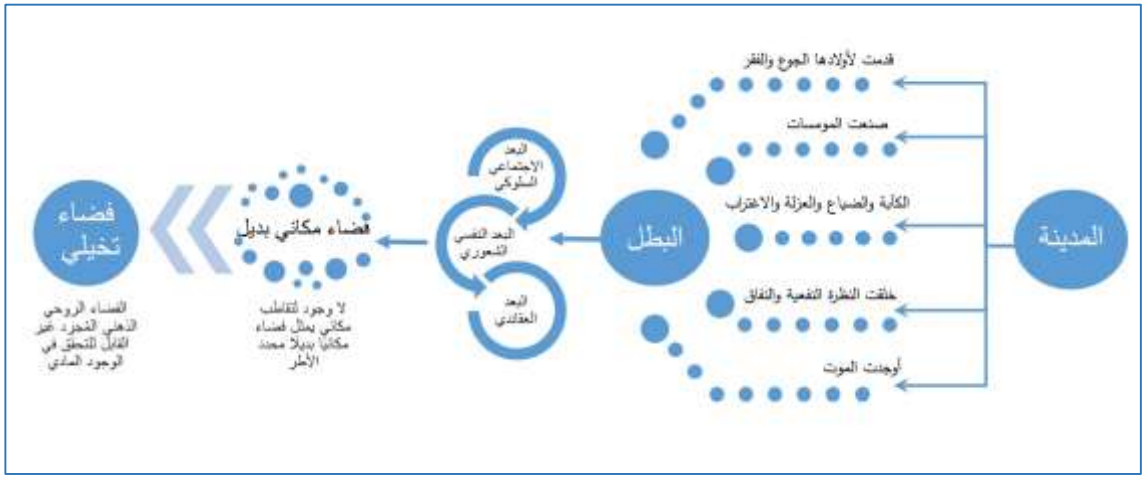

الشكل (١): المدينة المهيمنة في مجموعة زكريا تامر (مجموعة صهيل الجواد الأبيض)

يمكننا إذن تلمس الأيديولوجية المُحركة للخطاب القصصي في هذه المجموعة القصصية، والخاصة بالنظرة للوجود واللاجدوى والعدم وذلك انطلاقاً من هذه المعطيات. وبالرغم من عدم استعانتنا بالسياقات الخارجية للنص واعتمادنا على القراءة المُحايثة، إلا أن السياق الخارجي الذي يبين انتشار هذا الفكر في الستينيات، قد يُؤيد هذه القراءة التأويلية لعنصر "المدينة" في نصوص هذه المجموعة موضع البحث. فالمدينة ما هي إلى رمز بكل معطياتها ودلالاتها للوجود الأشمل.

الخلاصة

[١] فيلاله، شكير. (٢٠٠٥). الكتابة الموازية: إضاءات في السرد المغربي المعاصر. طنجة: منشورات مرايا طنجة. ص٢٣.

[٢] تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر. ص٣٨.

نخلص من بحثنا إلى أن "المدينة" تمثلت سلباً في نصوص مجموعة (صهيل الجواد الأبيض) للكاتب زكريا تامر، وأن هذه التمثلات كان لها سطوة محورية على النصوص وعلى البطل – كممثل للإنسان بشكل عام – مما حدا بنا إلى وصف هذا الفضاء المكاني "المدينة" بأنه "شخصية محورية بالنص.

وقد أوضحنا في مرحلة "الرصد" أهم هذه التمثلات وفعل "المدينة" وتأثير هذه الأفعال على البطل، كما فصلنا موقف البطل من هذه التمثلات والذي نوجزه بالسلبية المُنبثقة من فكرة "اللاجدوى والعدم" وما ينتج عنها من عبث ولامبالاة. ثم انتقلنا بعد ذلك لمحاولة رصد تمظهرات الفضاء المكاني البديل لخلق "ثنائية مكانية" ولكن لم يتحقق ذلك حيث أن الفضاء المكاني البديل هو فضاء ذهني مُجرد غير مُتحدد الأُطر المادية.

وفي المرحلة الثانية من مبحث التطبيق، حاولنا مُقاربة الدلالات المُتعلقة بالمدينة للوصول إلى الأيديولوجية المُحركة لهذه الخطابات القصصية، فالأيديولوجية كما يراها فان ديك "هي النظم الأساسية التي يتم من خلالها إدراك، وتنظيم المواقف الاجتماعية، وتسيطر بشكل غير مباشر على تشكيل سياق الخطاب، ومن التحليل الدلالي لهياكل الخطاب نرصد الأيديولوجيات"[1]. إن وجود أكثر من خطاب يؤدي إلى الصراع فيما بينها، وبما أن الأيديولوجية هي التي تشكل مفاهيمنا لذواتنا، وللعالم من حولنا؛ فإن الصراع الأيديولوجي هو جوهر تركيب تسعى الأيديولوجيات إلى سد الفجوة بين الإدراك الاجتماعي والإدراك الشخصي، ومعرفة اللغة والخطاب يشكل الإدراك الاجتماعي المشترك للأفراد والجماعات.

وبناءً عليه، انتقلنا إلى مُحاولة لمُقاربة الدلالات المُستنبطة من مرحلة "الرصد"، وكانت القراءة أن

---

[1] عبدالمعز، هبة. (٢٠٠٩). تحليل الخطاب. موقع مؤسسة النوع للثقافة والاعلام. مسترجع من :
http://www.alnoor.se/article.asp?id=42116

"المدينة" في هذه المجموعة القصصية تُمثل الوجود (فالمدينة ما هي إلا رمزاً للوجود) وهذا ما يُبرر سلبية موقف البطل ويُبرر عدم ظهور التقاطب المكاني (الفضاء المكاني البديل للمدينة)، حيث أن الفضاء البديل (للمدينة–الوجود) يقتضي أن يكون فضاءً ذهنياً غير مُتحدد الأُطر مادياً–غير واقعي. فالمدينة تمكن الكاتب من توظيفها توظيفًا فنيًا وأدبيًا كبنية نصية والتي "هي بنى تُحفز الملتقي على التورط في النص"[١] حيث أنها تثير فكر المتلقي لتعينه على تكوين صورة ذهنية لمفهوم المدينة.

إن ما يُميز الخطاب الأدبي أنه يحمل رؤيا وأيدولوجية معينة يُعبر عنها الكاتب بطريقة فنية أدبية ويكون هدفه توصيل هذا الرؤية الفكرية للمُتلقي، فالخطاب كما يراه ويعرفه إميل بنفنست Emile Benveniste "كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعاً وعند المُتكلم قصدية التأثير، بحيث يحاول المتكلم التأثير على المستمع بطريقة ما"[٢]، وكما يراه تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov "أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما"[٣].

فالكاتب زكريا تامر، كان خطابه القصصي مُحملاً برؤية وفكره محورية تُمثل أيدولوجيا مُعينة تتعلق بالوجود، فهي نصوص مُؤدلجة هدفها التأثير على المُتلقي. وقد نجح الكاتب زكريا تامر في توظيف "المكان – المدينة" توظيفاً فنيًا رمزياً للتعبير عن هذه الرؤية وذلك بمنحها السطوة والحضور المُهيمن على جميع نصوص مجموعته (صهيل الجواد الأبيض). كما نجح أيضاً في استخدام سلطته وفقًا لمفهوم سلطة الخطاب عند ميشيل فوكو Michel Foucault، وككاتب له قراؤه، في طرح رؤيته وأيديولوجيته في الخطاب القصصي ضمن تكوين استراتيجية تعتمد على اجتماع موضوعات خطابية معينة وظهور تنظيمات مفاهيمية وإبراز أنواع وصيغ تعبيرية تتمحور في المدينة.

---

[١] قفة، نسرين. (٢٠١٨). القصة القصيرة القطرية في ضوء نظرية التلقي. (١ (.Ed ,الدوحة: صفحات للدراسات والنشر والتوزيع. ص٢٣٢.

[٢] يقطين, سعيد. (١٩٨٩). تحليل الخطاب الروائي وابعاده النصية. مجلة الفكر العربي المعاصر. ص١٧.

[٣] تودوروف, تزفيتان. (١٩٩٣). اللغة والأدب في الخطاب الأدبي. (سعيد الغانمي، المترجمون) بيروت: المركز الثقافي العربي. ص٩٣.

قائمة المصادر والمراجع

١) بوحسن، أحمد. (ب.ت). نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث: نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات – سلسلة ندوات مناظرات رقم ٢٤. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

٢) تامر، زكريا. (١٩٩٤). صهيل الجواد الأبيض – مجموعة قصصية (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

٣) تودوروف، تزفيتان. (١٩٩٣). اللغة والأدب في الخطاب الأدبي. (سعيد الغانمي، المترجمون) بيروت: المركز الثقافي العربي.

٤) الحجري، إبراهيم. (٢٠١٣). القصة العربية الجديدة – رهانات التحول بين الشكل والموضوع – مقاربة تحليلية (المجلد الطبعة الأولى). دمشق: مُحاكاة للدراسات والنشر والتوزيع.

٥) زيان، محمد. (٢٠١٤). المكان في القصة القصيرة بالمغرب: حارة مصطفي اجماهيري نموذجاً .مجلة الاستهلال، ع٥،٤ ، ٣٢ .70 – مسترجع من:
http://search.mandumah.com.qulib.idm.oclc.org/Record/767938

٦) عبدالخالق، علي. (١٩٨٧). الفن القصصي – طبيعته – عناصره – مصادره الأولى. الدوحة: دار قطري بن الفجاءة.

٧) عبدالمعز، هبة. (٢٠٠٩). تحليل الخطاب. موقع مؤسسة النوع للثقافة والاعلام. مسترجع من: http://www.alnoor.se/article.asp?id=42116

٨) عزالدين، إسماعيل. (١٩٧٨). الأدب وفنونه. (طبعة ١). القاهرة: دار الفكر العربي

٩) العيد، يمنى. (١٩٨٦). القصة القصيرة والأسئلة الأولى (اللغة/الأدب/الأيديولوجيا). من كتاب دراسات في القصة العربية: وقائع ندوة مكناس. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

١٠) فراسواز، أرمينكو. (١٩٨٦). المقاربة التداولية. (سعيد علوش، المترجمون) الرباط: مركز الإنماء القومي.

١١) فيلاله، شكير. (٢٠٠٥). الكتابة الموازية: إضاءات في السرد المغربي المعاصر. طنجة: منشورات مرايا طنجة.

١٢) القريناوي، فريدة. (٢٠٢٣). تجلّيات الديستوبيا في الرّواية الجزائريّة، رواية " وطن من زجاج" لياسمينة صالح أنموذجًا. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ٢(١)، ١-١٨. مسترجع من:https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl/article/view/6308

١٣) قفة، نسرين. (٢٠١٨). القصة القصيرة القطرية في ضوء نظرية التلقي1) .، (.Ed الدوحة: صفحات للدراسات والنشر والتوزيع.

١٤) يقطين، سعيد. (١٩٨٩). تحليل الخطاب الروائي وابعاده النصية. مجلة الفكر العربي المعاصر.

١٥) فوكو، ميشيل. (١٩٨٧). حفريات المعرفة. ترجمة يفوت، س. بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية مُنقحة.